صناعة القدوات بالتربية بالقرآن ودورها في إصلاح المجتمع

أ.د/ فلوة بنت ناصر بن حمد الراشد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

الرياض –المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

الإنسان مدني بطبعه يتفاعل مع المجتمع المحيط به ويتأثر به ، ولذلك كان سلوك الاقتداء سلوكا فطريا إيجابا أو سلبا، والقرآن في أساليبه في التأثير على المخاطبين أتى بما يتناسب مع جبلة الإنسان وفطرته . وهذا البحث يهدف إلى إبراز أهمية وجود القدوات ، وأن هذا عامل من عوامل إصلاح المجتمع ، وبتدبر القرآن واستقراء التاريخ الإسلامي نجد أن القدوات الناجحة المؤثرة في إصلاح المجتمع هم من تربوا بالقرآن وعملوا به، وعليه سيكون تقسيم البحث على النحو التالي: المبحث الأول عن القدوة في القرآن . وفيه: تعريف القدوة –الألفاظ الدالة على القدوة في القرآن –أهمية القدوة– مظان استنباط جوانب القدوة في القرآن . ثم المبحث الثاني : ارتباط صناعة القدوات بالعمل بالقرآن .و المبحث الثالث : الجانب الوصفي للتاريخ الإسلامي في صناعة القدوات بالتربية بالقرآن وأثرها على الإصلاح.و المبحث الرابع : مجالات الإصلاح في المجتمع والتي ينبغي أن تصنع لها قدوات بالتربية بالقرآن. وأختم بنتائج البحث .حيث تبين من البحث أن القدوة مدخل من مداخل التأثير على النفس البشرية ،ولذلك عظمت عناية القرآن بها سواء على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق.وأن أهم المرتكزات فيها العمل بالقرآن. ثم أن القصص القرآني أهم مصدر لاستمداد معالم القدوة تطبيقيا ، ونحتاج لتعلم مهارة استنباط جوانب القدوة من القصص .وفي تنوع القصص القرآني تنوع لمجالات القدوة حسب تعلق القصة بالجانب الإصلاحي المجتمعي .

أهداف البحث:

١- الإسهام في إبراز عموم رسالة القرآن ومنهجه في الإصلاح .

٢- بيان أثر أحد وسائل القرآن في الإصلاح وهو التربية بالقدوة وإبراز عناية القرآن بالقدوة على مستوى التنظير وعلى مستوى التطبيق.

٣- بيان أسلوب القرآن الإصلاحي عن طريق التربية بالقدوة في مجالات متعددة .

الدراسات السابقة:

استفادت هذه الدراسة من عدد من الدراسات السابقة بعضها في مجال القدوة ، وبعضها في القصص القرآني باعتباره من مصادر القدوة ، ومن ذلك :

- دراسة د- ناصر الماجد بعنوان (القدوة الحسنة في القرآن الكريم) ، وفيها التنظير لجانب القدوة وهو أحد محاور البحث .
- دراسة :نايف قرموط رسالة ماجستير بعنوان (الإدارة في سورة يوسف) وقد كانت الاستفادة منه في أحد محاور البحث .

المبحث الأول :القدوة في القرآن.

المطلب الأول :تعريف القدوة:

أصل القدوة في اللغة كما قال اللَّيْث من: القَدْو فهو أصل الْبناء الَّذِي ينْشعِب مِنْهُ تصريف الِاقْتِدَاء ، وَيُقَال: قِدْوُه وقُدوة لما يُقتَدَى بِهِ.[1] وقال ابن فارس : الْقَافُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى اقْتِبَاسٍ بِالشَّيْءِ وَاهْتِدَاءٍ، وَمُقَادَرَةٍ فِي الشَّيْءِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ مُسَاوِيًا لِغَيْرِهِ.[2]

والتعريف الاصطلاحي لم يخرج عن اللغوي ، قال القرطبي:(الِاقْتِدَاءُ طَلَبُ مُوَافَقَةِ الْغَيْرِ فِي فِعْلِهِ).[3]

[1] تهذيب اللغة (٩ / ١٩١) .

[2] مقاييس اللغة (٥ / ٦٦).

[3] تفسير القرطبي (٧ / ٣٥).

واخترت لفظ الصناعة لورودها في مجال التربية مرتن في سورة طه كما في قوله﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ طه: ٣٩ ..... ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ طه: ٤١ . قال البغوي : (يعني لتربى بمرأى ومنظر مني) وقال ابن عاشور: (والصنع: مستعار للتربية والتنمية، تشبيها لذلك بصنع شيء مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم عليه أحد نعمة عظيمة: هو صنيعة فلان [٤]

المطلب الثاني : ورود لفظ القدوة في القرآن:

وردت القدوة في القرآن مرتين ، الأولى في مجال القدوة الحسنة قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾الأنعام: ٩٠ وقد وردت هذه الآية بعد ذكر جمع من الأنبياء بل هي أكثر سورة حشد فيها ذكر هذا العدد ، قال ابن عاشور في فاتحة سورة الأنبياء:(وَوَجْهُ تَسْمِيَتِهَا سُورَةَ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهَا ذُكِرَ فِيهَا أَسْمَاءُ سِتَّةَ عَشَرَ نَبِيًّا وَمَرْيَمَ وَلَمْ يَأْتِ فِي سُوَرِ الْقُرْآنِ مِثْلُ هَذَا الْعَدَدِ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ فِي سُورَةٍ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ عَدَا مَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ. فَقَدْ ذُكِرَ فِيهَا أَسْمَاءُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ نَبِيًّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾الأنعام: ٨٣ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَيُونُسَ وَلُوطًا ﴾الأنعام: ٨٦)[٥] .أما موضع القدوة فهو الهدى لأنه قال :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾الأنعام: ٩٠ أي إلى الحق والنهج المستقيم قال أبو السعود:﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾الأنعام: ٩٠ أي فاختصَّ هداهم بالاقتداء ولا تقتَدِ بغيرهم والمرادُ بهداهم طريقتُهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيدِه وأصولِ الدين دون الشرائعِ القابلةِ للنسخ فإنها بعد النسخ لا تبقى هُدىً)[٦] .والثانية في القدوة السيئة ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزخرف: ٢٣

[٤] التحرير والتنوير (١٦/ ٢١٨)

[٥] التحرير والتنوير (١٧ / ٥).

[٦] تفسير أبي السعود (٣ / ١٦٠). دار إحياء التراث العربي – بيروت.

– **الألفاظ الدالة على القدوة في القرآن .**

١– الأسوة : قال الراغب :(الأُسْوَة والإِسْوَةُ كالقدوة والقدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنا وإن قبيحا) .[٧]وقد وردت ثلاث مرات ،موضعان منها في سورة الممتحنة في سياق التأسي بإبراهيم عليه السلام وهي ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ الممتحنة: ٤ ، ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الممتحنة: ٦ . والثالث في سورة الأحزاب وهو اقتداء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١ .

١– الإمام : قال الخليل :(وكلّ من اقتُدِيَ به، وقُدُّم في الأمور فهو إمامٌ)[٨].ومما ورد في القرآن بمعنى القدوة : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾البقرة: ١٢٤ .وكذلك: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ الأنبياء: ٧٣ [الأنبياء٧٣] وغيرها.

٢– المثل: مُنَاظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ[٩]، وقد ورد في القرآن ذكر المثل في بعض أمثاله مرادا به الحالة التي يحتذى بها ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ التحريم: ١١ .[١٠]

المطلب الثالث : أهمية القدوة:

١– الإنسان مدني بطبعه يتفاعل مع المجتمع المحيط به ويتأثر بهم ، ولذلك كان سلوك الاقتداء سلوك فطري ، والقرآن في أساليبه في التأثير على المخاطبين أتى بما يتناسب مع جبلة الإنسان وفطرته ، وحتى يكون هذا التقليد والاقتداء موجها لما فيه المصلحة للإنسان جاء ذكر القدوات في القرآن ممدوحة فيما يراد الاقتداء به ومذمومة فيما ينبغي الحذر منه ، وهذا من أهم مقاصد القصص القرآني وأهدافه بحيث ينبغي على متدبر القصص القرآني الخروج بمناهج عملية في النفس والمجتمع

[٧] المفردات في غريب القرآن (١ / ٧٦). دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

[٨] العين (٨ / ٤٢٨). دار ومكتبة الهلال.

[٩] مقاييس اللغة (٥ / ٢٩٦).

[١٠] انظر : القدوة الحسنة في القرآن الكريم ، ناصر الماجد– مجلة تبيان–العدد الثامن .

فنخرج من الإطار التاريخي للقصص إلى الإطار العملي ، وبه يكون الإنسان عاملا ، وداعيا إلى الله ، وكل يطوع هذه الدروس حسب واقعه فيتضح بذلك أن القرآن صالح لكل زمان ومكان.

٢- ومن فوائد القدوة التي تبرز أهمية إبرازها في مجال التربية أن الموقف الذي يبدو في دائرة القدوة يعطي قناعة بأن بلوغها من الأمور التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وبالتالي سهولته ، وسرعة انتقال الخير من المقْتَدى به إلى المقْتَدي ؛ لأن الأخذ بالشيء علميًا والتمسك به أكثر إقناعًا للمدعوين من الحديث عنه والثناء عليه ، فمجرد العمل بالخير وتطبيقه ، تحصل قناعة عند الآخرين بصلاحية هذا الخير والفعل للتطبيق ، وأنه ليس أمرًا مثاليًا مجردًا فمما نشهده في مجال التربية أن كثيرًا من الناس يرون بعض الأمور مستحيلة الوقوع؛ لأنهم لم يعالجوا قدراتهم للقيام بها، فإذا شاهدوا غيرهم يفعلها أخذوا يطوعون قدراتهم حتى يكسبوها المهارات المطلوبة لذلك العمل، بالمعالجة والمحاكاة والتدريب. وهذا يدلُّ على عِظَم أثر القدوة في تشكيل الشخصيَّة الإنسانيَّة .[١١]

٣- سلامة الأخذ وضمان الصحة ، ولا سيما في الأمور الدقيقة العملية ، ومن هنا أكد عليه – صلى الله عليه وسلم – في تعليمه أمته بعض أركان الإسلام كالصلاة والحج ، فقال في الصلاة : (وصلوا كما رأيتموني أصلي)[١٢]. وقال في الحج : «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» [١٣]. بل إن جبرائيل – عليه السلام – جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صبيحة ليلة الإسراء ليعلمه كيفية الصلاة عمليًا ، عند الزوال، فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فاجتمعوا، وصلى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمون بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقتدي بجبرائيل، فاقتدى به – صلى الله عليه وسلم – ، واقتدى الصحابة الكرام برسول الله.[١٤]

المطلب الرابع : مظان استنباط جوانب القدوة في القرآن .

[١١] انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها . (ص: ٨٤)
[١٢] صحيح البخاري (١/ ١٢٩)
[١٣] صحيح مسلم (٢/ ٩٤٣)
[١٤] انظر السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١١٢)

يمكن استلهام جوانب القدوة في القرآن من خلال القصص القرآني فهو هدف من أهدافه ، وتدبر القصص من زاوية القدوات يمكّن الدعاة من تقديم القرآن للمخاطبين بشكل صالح لكل زمان ومكان ، فالنفس البشرية من حيث التكوين واحدة وسنن الله لا تتخلف وإن تغيرت الأزمان والأماكن. ولذا نجد أن قوله تعالى: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾الأنعام: ٩٠ جاءت بعد ذكر الأنبياء .

ولذلك فإنه ينبغي حسن تعلم مهارة التدبر في موضوع القصص القرآني لتحصل الفائدة وخاصة في التعرف على جوانب الاقتداء ، وقد قال تعالى : ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٦

المبحث الثاني : ارتباط صناعة القدوات بالعمل بالقرآن .

القدوة هو من يربي ويصلح ويغير نحو الأفضل بوسيلة لا تعتمد على التوجيه المباشر بل على إصلاح النفس وتزكيتها فيحصل بصلاحه وجميل فعاله ما لا يحصل بكلامه فيقدم الصلاح في نموذج تطبيقي محمود محبب للناس .

وخير ما تصنع به القدوة أن يكون صاحبها قد تربى بالقرآن ، وشاهده وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها علما سئلت عن خُلُق رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقالت: كَانَ خُلُق رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ.[١٥]

ثم تولى رسولنا وقدوتنا صلى الله عليه وسلم تربية الصحابة بالقرآن فكان من مهامه في دعوته لقومه ما ورد في تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢ . فالتزكية بالقرآن من ألوان التربية التي تولاها خير القدوات بالقرآن .

ونستعرض هنا بعض آيات القرآن التي تشير لارتباط موضوع الإصلاح بالتربية بالقرآن

---

[١٥] تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ١٨٩)

١- ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا
وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ
وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ الأعـــــراف: ١٦٩ - ١٧٠

والحديث في الآية عن بني إسرائيل وتقطعيهم في الأرض وبعث من يسومهم سوء العذاب فذكر تلك العقوبة لكونهم أخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا في الكتاب.

ثم امتدح وأثنى على الفريق الآخر الذين أحسنوا تطبيق ما ورد في الكتاب فسماهم في آخر الآية (مصلحين) ، وحين نتأمل الآية نجد أنها ذكرت أفعالهم التي وصلوا بها لهذا الوصف فقال ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ ﴾ ومادة الميم والسين والكاف (مسك) تدل على الارتباط الوثيق مسك أو أمسك وتمكسك واستمسك وتماسك تصريفات لها ، (ويمسكون) مبالغة في المسك فالزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى.

فالحال الواجب هو تقوية الارتباط بالكتاب فهو لا يمسك فقط بل يمسّك ومن قوى ارتباطه بالله فإن المعونة والتوفيق منه ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ البقرة: ٢٥٦ .

ومن أعظم المواطن التي يقوى منها الارتباط بالكتاب هي الصلاة لذلك عقب عليه بقوله (وأقاموا الصلاة) وفي هذا يقول تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء: أي بالقرآن وفي ختام الآية قال ﴿ إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ ولم يقل الصالحين إشارة إلى الأثر الحقيقي للاستمساك بالكتاب هو إصلاح المجتمع وهذا يعتمد على من يمسكون بالكتاب ويقيمون الصلاة لأن المجتمع لا يصلح إلا إذا استدامت صلتهم بمن خلقهم وخلق المجتمع وأنزل لهم المنهج القويم الذي به يحصل الصلاح.

كما تعطي بيان أثر دراسة الكتاب والتمسك به في إصلاح العباد والمجتمعات ولا شك أن هذا أثر يتجاوز تلاوته بمراحل كثيرة فهو تلاوة وتدبر وتفهم وسلوك وتطبيق. بل إن فساد الحياة بترك التمسك بالكتاب وغيابه واقعاً في حياة الناس ، فالقرآن منهج متكامل .

٢- ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩ .

هذه الآية وردت في سياق مجادلة نصارى نجران الذين أتى وفد منهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يجادلونه في دينهم،[١٦] ومعلوم أن اليهود والنصارى حرفوا دينهم وكتبهم يطلبون من الناس طاعتهم . فجاء هنا لبيان المنهج الحق الذي يرتضيه الله من الرسل والدعاة أن تكون دعوتهم لله لا لأنفسهم والرسول مهمته تبليغ الوحي من جهة ثم يطبق هذا الوحي ليصبح منهجاً سلوكياً يقتدى به في تنفيذ شرع الله.

فجاء في الآية بعد النفي القاطع لعبادة الأنبياء ﴿ **وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ وكلمة رباني، ورب ، وربيون، وربان كلها مأخوذة من (رب) التي تدل على التربية والولاية وتعهد المربي، فإذا أريد النسبة قيل (ربي) ، فإذا أريد المبالغة في النسبة أضفنا (ألف ونون) (رباني) ، ومثلها علم (علمي) وللمبالغة (علماني) وهو الذي يزعم لنفسه أن كل أموره تمشى على العلم المادي لتأكيد النسبة إلى العلم.

- والمبالغة في النسبة إلى الرب هنا لبيان أن كل ماعنده من حصيلة البلاغ لابد أن تكون صادرة عن الله، فهو رباني الأخذ.
- والوسيلة لتحصيل هذه النسبة ﴿ **بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ فالعلم تلقي النص المنهجي، والدراسة هي البحث الفكري في النص المنهجي(١٧).

---

[١٦] قصة وفد نجران أخرجها البخاري في صحيحه (٥/ ١٧٢).

(١٧) تفسير الشعراوي (٣/ ١٥٦٥)

- والدراسة في كلام العرب: تحوم حول معاني التأثر من تكرر عمل يعمل في أمثاله يقال درست الريح رسم الدار إذا عفته وأبلته من شدة تكررها عليه ودرس الكتاب إذا قرأة بتمهل لحفظه أو للتدبر [(١٨)].

- وقيل درس تدل على تكرار العمل حتى يصير ملكة وهو يختلف عن قراءة الكتاب مرة واحد، فالعلم تلقي المعلومات، أما من درس المعلومات وطبقها حتى صارت المسألة آلية فهنا امتلك ناصية العلم حتى صار ملكة له.[١٩]

وفي الحديث: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة...) [(٢٠)]

ولما عطف التدارس على القراءة علم أن الدراسة أخص من القراءة ومادة درس تستلزم التمكن من المفعول، فلذلك صار درس الكتاب مقصود به فهمه واتقانه.

إذن مهمتنا تجاه القرآن تتجاوز تعلم لفظه وتلاوته إلى تدارسه وفهمه وتدبره. وهذا إذا حصل استحق صاحبه أن يوصف بأنه (رباني).

٣- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٢ - ٢٤

ذكرنا قول الخليل في معنى الإمامة : (وكلّ من اقتُدِيَ به، وقُدّم في الأمور فهو إمامٌ) .

فجعل الله الكتاب الذي جاء به موسى هدى لبني إسرائيل يهتدون به في أصول دينهم، وفروعه وشرائعه وجعل منهم علماء بالشرع، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدى، فهم قدوة تحصل بهم هداية الآخرين وقد وصلوا لهذه المرتبة بسبب اهتدائهم بالكتاب ، فالكتاب الذي أنزل إليهم هدى، والمؤمنون به منهم على قسمين:

[(١٨)] التحرير والتنوير (٣/ ٢٩٥)

[١٩] انظر تفسير الشعراوي (٧/ ٤٤٢٦) عند تفسير قوله: (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩)

[(٢٠)] صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤)

- أئمة يهدون بأمر الله .
- وأتباع مهتدون بهم حيث ختمت الآية بقوله: {وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين. فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك، فبالصبر واليقين، تُنَالُ الإمامة في الدين.

والحديث عن صناعة القدوات في هذه الآية بالتربية بالقرآن وإن كان المقصود في السياق حدوث هذا في قدوات بني إسرائيل وتربيهم بكتابهم إلا أن السياق السابق له كان في حق المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الله قبلها:(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) فلما ذكر تعالى، آياته التي ذكر بها عباده، وهو: القرآن، الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، ذكر أنه ليس ببدع من الكتب، ولا من جاء به، بغريب من الرسل، فقد آتى الله موسى الكتاب الذي هو التوراة المصدقة للقرآن، فدل ذلك أن صناعة القدوات بالتربية بالكتب السماوية سنة إلهية ماضية . [٢١]

المبحث الثالث : الجانب الوصفي للتاريخ الإسلامي في صناعة القدوات بالتربية بالقرآن وأثرها على الإصلاح .

أولا : شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

يصطفي الله لرسالته من الناس أفضل الخلق حيث قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾الأنعام: ١٢٤ قال السعدي :أي فيمن علمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلا وتبعا، ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند من لا يستأهله، ولا يزكو عنده.

[٢١] انظر تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٥٦)

وبالرغم من ذلك فهو بعد بعثته لا يزال يُصنع بالقرآن لتكتمل صفاته ويكون أسوة لأتباعه وشاهده وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها علما سئلت عن خُلُق رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقالت: كَانَ خُلُق رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ.[٢٢]

ولعل من أسرار تسمية سورة الحجرات بهذا الاسم أنها سورة تحدثت عن جانب الآداب وهي متأخرة في النزول (عام الوفود) فلما اشتملت على بعض الآداب سميت السورة بحجرات النبي صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك إلماح إلى أن من أراد تعلم المزيد من الآداب فليلزم حجراته فمنها نقلت السنة والآداب في كل المجالات صغيرها وكبيرها .

ولنا تأمل في قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤ ﴾ النحل: ٤٣ - ٤٤

حيث ذكر بعد الإخبار بإنزال الكتاب أمرين:

١- (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) .
٢- (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

فالأول أن من مهام النبي التبيين ، وهي كلمة أوسع من التفسير حيث تشمل الوحي غير المتلو فهو كما أخبر الله عنه (وما ينطق عن الهوى) ، وتشمل تلبسه بأمر الشرع بحيث يكون كل ما يصدر منه من أقوال وأعمال وتقريرات محل شرع وبالتالي قدوة .

والثاني : وهو الأمر بالتفكر في هذا كله ، وما الذي أحدثه القرآن في صناعة النبي صلى الله عليه وسلم ،

وللشعراوي لفتة هنا حيث قال : (يتفكرون. . في أي شيء؟ يتفكرون في حال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قبل البعثة، حيث لم يُؤْثَر عنه أنه كان خطيباً أو أديباً شاعراً، ولم يُؤْثَر عنه أنه كان كاتباً مُتعلِّماً.

[٢٢] تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ١٨٩)

. لم يُعرف عنه هذا أبداً طيلة أربعين عاماً من عمره الشريف، لذلك أمرهم بالتفكُّر والتدبُّر في هذا الأمر. فليس ما جاء به محمد عبقرية تفجَّرت هكذا مرّة واحدة في الأربعين من عمره، فالعمر الطبيعي للعبقريات يأتي في أواخر العِقْد الثاني وأوائل العِقْد الثالث من العمر. ولا يُعقل أنْ تُؤجّل العبقرية عند رسول الله إلى هذا السن وهو يرى القوم يُصْرعون حوله. . فيموت أبوه وهو في بطن أمه، ثم تموت أمه وما يزال طفلاً صغيراً، ثم يموت جَدُّه، فمَنْ يضمن له الحياة إلى سِنِّ الأربعين، حيث تتفجَّر عنده هذه العبقرية؟!إذن: تفكَّروا، فليستْ هذه عبقرية من محمد، بل هي أمْر من السماء؛ ولذلك أمره ربُّه تبارك وتعالى أن يقول لهم:﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يونس: ١٦).[٢٣]

وقد فقه الصحابة ذلك فتربوا على من صنعه الله بالتربية بكلامه حتى صاروا هم أنفسهم قدوة لمن بعدهم فسمي الجيل الذي تلاهم بالتابعين لاتباعهم لهم .

ومن المواقف التي أبرزت أهمية القدوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما ورد في قصة الحلق في الحديبية في الحديث الطويل لما حصل الصلح (فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، انْحَرُوا وَاحْلِقُوا " قَالَ: فَمَا قَامَ أَحَدٌ، قَالَ: ثُمَّ عَادَ بِمِثْلِهَا، فَمَا قَامَ رَجُلٌ، حَتَّى عَادَ بِمِثْلِهَا، فَمَا قَامَ رَجُلٌ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالَ: " يَا أُمَّ سَلَمَةَ، مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ " قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ دَخَلَهُمْ مَا قَدْ رَأَيْتَ، فَلَا تُكَلِّمَنَّ مِنْهُمْ إِنْسَانًا، وَاعْمِدْ إِلَى هَدْيِكَ حَيْثُ كَانَ فَانْحَرْهُ وَاحْلِقْ، فَلَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا حَتَّى أَتَى هَدْيَهُ فَنَحَرَهُ، ثُمَّ جَلَسَ، فَحَلَقَ، فَقَامَ النَّاسُ يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ).[٢٤]

ثانيا : جيل الصحابة (نماذج من سير الصحابة) .

[٢٣] تفسير الشعراوي (١٣/ ٧٩٥٨)

[٢٤] مسند أحمد ط الرسالة (٣١/ ٢٢٠)

وصف النبي صلى الله عليه وسلم جيل الصحابة بقوله : «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ}[٢٥] والصحيح كما قال النووي : (أن قرنه صلى الله عليه وسلم الصحابة والثاني التابعون والثالث تابعوهم)[٢٦]

جيل الصحابة وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾الفتح: ٢٩ فكان امتداحهم بعد ذكر معيتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (معه) تدل على المصاحبة المقتضية الاقتداء وهو أسلوب يدعو عامة الأمة إلى النظر إلى سيرهم وأن مصدر الاستمداد لهذه المؤهلات الممدوحة هو التربية بالقدوة الأولى محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي موضوع الاقتداء بجيل الصحابة نجد القرآن عبر عنها بالاتباع وهو حقيقة معنى الاقتداء قال تعالى في وصفهم : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)

ويشمل معنى الاتباع جميع الأتباع إلى يوم القيامة، كما نبّه إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»[٢٧] .

والاتباع المطلوب: هو الإتباع بإحسان، أي إحسان الأعمال والنيات والظواهر والبواطن، وأما الاكتفاء بظاهر الإسلام فلا يحقق شرط الإحسان، والمتبعون بإحسان مع الصحابة هم خير أمة أخرجت للناس، وهم الأمة الوسط العدول الخيار.[٢٨]

ومن المواقف التي تبرز جانب الاقتداء في جيل الصحابة ما أخرجه البخاري في صحيحه حيث بوب ضمن كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة بابا اسماه (باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأورد حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ،

---

[٢٥] (صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٢)

[٢٦] شرح النووي على مسلم (١٦/ ٨٥)

[٢٧] صحيح البخاري (٦/ ١٥٤) ، صحيح مسلم (٤/ ١٩٤٨)

[٢٨] انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (١/ ٩١١)

فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ، قَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ، فَقَالَ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٩ وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»[٢٩]

قال العيني في شرحه لهذا الحديث : (مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: وكان وقافا عند كتاب الله فإن الذي يقف عند كتاب الله هو الذي يقتدي بسنن رسول الله والوقوف عند كتاب الله عبارة عن العمل بما فيه.) ومعنى وقافا : مبالغة في واقف ومعناه أنه إذا سمع كتاب الله يقف عنده ولا يتجاوز عن حكمه.[٣٠] ومن تتبع سير التابعين سيجد الكثير من المواقف التي تبرز اقتداءهم بعمر بن الخطاب الذي تربى بالقرآن وكان وقافا عنده .

ومما يستمد من أحداث السيرة للتنبيه على دور التربية بالقدوة ما كان يشيد به النبي صلى الله عليه وسلم من مناقب بعض الصحابة للحض على المحاكاة والاقتداء ومن ذلك ما حصل في قصة سعد بن معاذ في الأحزاب . قال ابن إسحاق: ولسعد يقول رجل من الأنصار: وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو ، وقالت أم سعد، حين احتمل نعشه وهي تبكيه:

ويل أم سعد سعدا ... صرامة وحدا

وسؤددا ومجدا ... وفارسا معدا

سد به مسدا ... يقد هاما قدا

---

[٢٩] صحيح البخاري (٩/ ٩٤)

[٣٠] انظر :عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ٣٠)

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل نائحة تكذب، إلا نائحة سعد بن معاذ.[31]

المبحث الرابع : مجالات الإصلاح في المجتمع

مجالات الإصلاح متنوعة بتنوع مسالك الحاجات البشرية لتستمر الحياة بصلاح أفرادها وتنهض الأمة ، وكل مجال لا تقوم الحياة إلا به نجد في القرآن ما يقيمه ويصلحه ، وبالتالي تتكون القدوات فيه .

وسأذكر في هذا البحث نماذج من مجالات الإصلاح المجتمعي بالتربية بالقرآن على سبيل المثال :

أولا : **مجال الإصلاح في الدعوة إلى الله بالتربية بالقرآن :**

الدعوة إلى الله هي مهمة الرسل والأنبياء ابتداء فالرسل حملة وحيه، ومهمتهم الأولى هي إبلاغ هذه الأمانة التي تحملوها إلى عباد الله [32].

ثم هي أعلى مراتب الدين لمن اتبعهم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨ ، فإرشاد الناس إلى الطريق الصحيح يكون أولا من طريق الوحي لأن دلالة الإنسان في الأمور التي لا يتوصل العقل الإنساني إليها و تكون خارجة عن دائرة إدراكاته المحدودة لا يتوصل إليها بدون الإرشاد الإلهي فبعث الأنبياء و إرسال الرسل لتحقيق ذلك بالبلاغ عن الله ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ المائدة: ٦٧ وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ وذلك في سياق قوله ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ النحل: ٣٦ .... ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ

[31] سيرة ابن هشام ت السقا (٢/ ٢٥٢) وصححه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ١٤٩)

[32] انظر الرسل والرسالات (ص: ٤٣)

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٣ - ٤٤

ثم كان من أبلغ الوسائل في تحقيق هذه المهمة : القدوة الحسنة ، فهم قدوة وأسوة للناس — من جنس البشر – يطبقون ما يقولون ، وبهذا يثبتون بأن ما يقولون قابل للتطبيق و ليس مجرد فرضية من الفرضيات ، فالنبي يطبق ما نزل الوحي به عملياً و لا يكتفي بالتبليغ النظري . وقد ذكر ذلك لوصف الأنبياء في مواطن متعددة من القرآن ، قال تعالى في وصف أبناء إبراهيم عليه السلام ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٢ - ٧٣

قال تعالى في وصف موسى عليه السلام وبعض أعلامهم :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٣ - ٢٤

وفي حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ الجمعة: ٢ - ٤

وهذه الآية تتحدث أيضا عن الأتباع لما صُنعوا على يد خير القدوات بالتربية بالقرآن حيث تلا عليهم الآيات ورباهم بها (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) بأن يحثهم على الأخلاق الفاضلة، ويفصلها لهم، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة، {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} أي: فعلم القرآن وعلم السنة، فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية منه أعلم الخلق، بل كانوا أئمة أهل العلم والدين، وأكمل الخلق أخلاقًا، وأحسنهم هديًا وسمتًا، اهتدوا بأنفسهم، وهدوا غيرهم، فصاروا أئمة المهتدين، وهداة المؤمنين، وهكذا هو صلى الله عليه وسلم يربي كل أتباعه الذين جاؤوا من بعدهم قال تعالى : {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} أي: وامتن على آخرين من غيرهم أي: من غير

الأميين، ممن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب، لما يلحقوا بهم، أي: فيمن باشر دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل، ويحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان، وعلى كل، فكلا المعنيين صحيح.

ومن تمام بيان المعنى حذرهم من أناس بمثابة عرض القدوات السلبية التي ينبغي الحذر من مسلكهم فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥ ﴾ الجمعة: ٥ ، فلما ذكر تعالى منته على هذه الأمة، الذين ابتعث فيهم النبي الأمي، وما خصهم الله به من المزايا والمناقب ، وذكر أن الذين حملهم الله التوراة من اليهود وكذا النصارى، وأمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بما فيها ، وأنهم لما لم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به، أنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارًا من كتب العلم، فحظه منها حملها فقط.[٣٣]

ميادين القدوة في مجال الدعوة إلى الله بالتربية بالقرآن :

١- التربية الذاتية للداعية بالعناية بجانب العبادة : فالعبادة هي الزاد الذي يغذي الداعية للاستمرار في الدعوة وهي وسيلة لامتلاك الصبر فيها ، ويمكن اكتساب ذلك بالتربية بسورة المزمل فإن مقصدها الرئيسي دور العبادة في التحلي بالصبر في مجال الدعوة ولنتأمل قوله﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ المزمل: ١ - ٤ فأمره بالعبادة الثقيلة – وهي قيام الليل بحيث لا ينقص عن الثلث لكن الأفضل كله إلا قليلا – تمهيدا للمهمة الثقيلة: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ المزمل: ٥ فعلى قدر المهمة يكون الاستعداد ثم قال ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ ﴾ المزمل: ٦ - ٩ فأشار إلى عبادات متعددة

[٣٣] انظر : تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦٢)

منها الذكر والتوكل وكل ذلك زاد الصبر ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ ﴾ المزمل: ١٠.

٢- التربية الذاتية للداعية بالعناية بجانب الأخلاق : فعلاقة القدوة بالناس وتعامله معهم لها تأثير كبير على مدى قبول المدعوين للداعية وبالتالي التأثر به والعمل بما يدعوهم إليه ، قال تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ آل عمران: ١٥٩ فينبغي على الداعية أن يسعى لكسب حب المدعوين واحترامهم وثقتهم من خلال حسن تصرفه وتحليه بمكارم الأخلاق من طيب العشرة وطلاقة الوجه وحسن القول، إلى غير ذلك من مجالات الدعوة بالقدوة في التعامل، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الميدان أعظم أسوة ، ويمكن للقدوة صناعة نفسه بالتربية بسورة القلم فإن مقصدها الرئيسي أخلاق الداعية إلى الله فقد كان في فاتحتها الثناء على إمام القدوات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ٤ وفي خاتمتها قال تعالى ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ القلم: ٥٢ (أي: وما هذا القرآن الكريم، والذكر الحكيم، إلا ذكر للعالمين، يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم) [٣٤]. والتي منها التذكر في جانب أخلاق الدعاة إلى الله . وبينهما جاء التحذير من جملة من الأخلاق الذميمة .

٣- التربية الذاتية للداعية في الدعوة بعد العلم بالمدعو إليه : وهنا يربي القرآن الدعاة في هذا الجانب ويطلب منهم ألا يتصدى إلى الدعوة إلا من امتلك العلم الذي يؤهله للقيام بهذه المهمة فلا يشرع لأحد أن يتصدر للدعوة إلى الله من غير أن يعلم ما يدعو إليه، وقد جعل الله تعالى التقول عليه بغير علم من أمر الشيطان، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ البقرة: ١٦٨ - ١٦٩ وهذا مما حرمه الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا

[٣٤] تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٨٢)

وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣ . و قال: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ
أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾
يوسف: ١٠٨

والمقصود أنه لا يجوز لأحد أن يتكلم في مسألة من مسائل الدين بغير أثارة من علم، ومن فعل ذلك متقربا إلى الله فيصح وصفه بالابتداع في عمله هذا، لأنه تقرب إلى الله بما لم يشرعه، بل بما حرمه وذمه. ومن صفات آخر الزمان ما ورد في الحديث: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[٣٥] والشاهد أن الجاهل قدوة سلبية في مجال الدعوة إلى الله لأنه يحصل به الضلالة لا الهداية كما هو نص الحديث.

أما عن التربية بالقرآن في مجال العلم في الدعوة فالقرآن مصدر العلم وهو مليء بالحجج العقلية في مجادلة الخصوم ، كما أنه ذم الذين يدخلون المجادلة في موضوع لم يحيطوا به علما قال تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ آل عمران: ٦٦ وسيأتي مزيد تفصيل لمجال العلم في المحور اللاحق.

ثانيا : مجال الإصلاح في التعلم والتعليم بالتربية بالقرآن :

للعلم أهمية عظمى سواء لأمر الدين لإقامة الشرائع كما أرادها الله بنور منه أو لأمر الدنيا لعمارة الأرض ، وقد حث الشرع على طلب العلم ورتب عليه الكثير من الفضائل في الدنيا والآخرة قال تعالى :﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾الزمر: ٩ .

ولكن في مجال اكتساب العلم وتعليمه والعمل بمقتضى الفضل الذي رتب عليه نحتاج إلى قدوات مؤثرة تسهل وصول هذه المفاهيم للمتلقي وتصلح ما يعلق به من خلل . ومما يمكن التربية بالقرآن في مجال العلم :

---

[٣٥] صحيح البخاري (١/ ٣٢)

١- قصة موسى عليه السلام والخضر فإن فيها الكثير من العبر والآداب للمعلم والمتعلم ، ويكفي فيه أن ننظر إلى أثر هذه القصة على خير القدوات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال " قام موسى خطيبا في بني إسرائيل فقيل له: أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى إليه: بلى عبد من عبادي بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال: أي رب، كيف السبيل إليه؟.... وبعد أن حكى على الصحابة القصة قال: (وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما) [٣٦]. ويعلم من هذا أن معين العلم الأول الوحي .

٢- قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٣ - ١١٤ فمجيء قوله (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) في هذا السياق له أثره في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم منهج تلقي العلم حيث قال قبلها (وَلَا تَعْجَلْ...) قال السعدي: أي: لا تبادر بتلقف القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه، فإذا فرغ منه فاقرأه، فإن الله قد ضمن لك جمعه في صدرك وقراءتك إياه، كما قال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: ١٦ - ١٩ ولما كانت عجلته صلى الله عليه وسلم على تلقف الوحي ومبادرته إليه تدل على محبته التامة للعلم وحرصه عليه أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم فإن العلم خير وكثرة الخير مطلوبة وهي من الله والطريق إليها الاجتهاد والشوق للعلم وسؤال الله والاستعانة به والافتقار إليه في كل وقت . ويؤخذ من هذه الآية الكريمة الأدب في تلقي العلم وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المملي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم فإنه سبب للحرمان وكذلك المسئول ينبغي له أن

[٣٦] صحيح البخاري (٦/ ٩٢)

يستملي سؤال السائل ويعرف المقصود منه قبل الجواب فإن ذلك سبب لإصابة الصواب) [٣٧] .

ومن أهمية صناعة القدوات في مجال التعليم أن المعلم يأتي كمربٍّ في الدرجة الثانية بعد الأب والأم بل قد يفوق تأثيرهم تأثير الوالدين ومسلك التأثير هنا هو القدوة ، فكلٌّ منّا يتذكر جيّداً معلّماً أو أكثر كانت له بصمات عميقة في تربيته وبنائه ، وقد يمتدّ تأثير أحدهم إلى مستقبل الحياة ، حيث تجد تلميذ الأمس معلم اليوم فيتمثّل أستاذه أمامه فيقتدي به في إخلاصه وسخاء عطائه واستقامة سلوكه من جهة ، ومن جهة أخرى يتمثل شخصيته في طلب العلم والصبر عليه .

وهذه خلاصة نصائح من الخبراء التربويين للمعلم القدوة :

١ – المعلم الذي يطعم درسه بكلمات التوجيه الصادق المخلص ، والمواعظ الأخلاقية الحسنة ، ويقدم خلاصة تجربته العملية النافعة ، ويُري من نفسه النموذج الأصلح ، لا يحظى بالوقار والتبجيل فقط ، بل باتخاذه قدوة وأسوة أيضاً .

٢ – والمعلّمة التي تأخذ بأيدي تلميذاتها من الفتيات المراهقات والشابات لتعبر بهنّ إلى شاطئ الأمان ، من خلال النصائح النابعة من القلب ، والفائضة حبّاً ورحمة وحناناً ، والتي تسلك في المدرسة والشارع سلوك المرأة العفيفة الرزينة ، هي أمّ ثانية ، وربّما نسيت بعض الفتيات جوانب من حياتهنّ مع أمّهاتهنّ اللائي ولدنهنّ ، لكنهنّ لن ينسين معلّمة قالت بصدق وعملت بصدق [٣٨] .

٣ وكم من طالب وطالبة ظهر منه بوادر الانحراف فكان قارب النجاة له معلم مخلص احتواه علميا وأخلاقيا وفعل العلم عملا في حياته.

ثانيا : مجال الإصلاح في مجال الأخلاق بالتربية بالقرآن :

[٣٧] تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٤)

[٣٨] انظر : مقال بعنوان : القدوة وبناء الأجيال الصالحة– دكتور / وحيد حامد عبد الرشيد –
http://www.gulfkids.com/vb/showthread.php?t=3570

وهذا من أهم المجالات التطبيقية للتربية بالقرآن والسنة . وتشتد الحاجة له مع فشو كثير من الرذائل الخلقية في المجتمع خصوصا مع العولمة وتعدد وسائل التربية مع قنوات التواصل الاجتماعي ، وربط النشء بالقرآن صمام أمان لصد الانحراف الخلقي و محاولة بلوغ السمو الخلقي .

وبالتأمل في كيفية ورود الأخلاق في القرآن نجد أنها وردت مرتين إحداها هي المقصودة بالمعنى الاصطلاحي وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ القلم: ٤ فإذا ما قورنت هذه الآية بقوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ الأحزاب: ٢١ عُلم أن القدوة خير مؤثر في الأخلاق ، مع حديث عائشة رضي الله منها (كَانَ خُلُق رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ)[٣٩] ، والقرآن مليء بالفضائل الخلقية التي يحث على التحلي بها والتنفير من رذائل خلقية لا تليق بالإنسانية وسبق أن أشرت إلى ذلك خاصة سورة الحجرات علاقتها بالجانب الخلقي وتجسيد شخصية الرسول لجانب القدوة بالتربية الخلقية بالقرآن في مجال أخلاق الدعاة.

ثالثا : مجال الإصلاح في مجال الأسرة والمجتمع بالتربية بالقرآن :

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع وهي في ذات الوقت المحضن الأول الذي يتربى فيه الإنسان ، وبقدر نجاحنا في إصلاح الأسرة يكون نجاحنا في صلاح الفرد خصوصا وصلاح المجتمع عموما ، ولأهمية دور الأسرة ولأجل أن يعود لهذا الدور الفاعلية والتأثير سواء على الفرد أو على المجتمع تأثيرا إيجابيا خاصة بعد تراجعه كثيرا نتيجة غياب الوعي وقلة الدين وكثرة المؤثرات ، اهتم القرآن بها وحاطها بالرعاية لتتحقق مقاصد الشريعة في ذلك فوضع لها أهدافا سعى من ورائها إلى تكوين الأسرة السعيدة الصالحة الفاعلة ، فتكون محضنا صالحا للأبناء .

ولسنا هنا بصدد تعداد هذه الأهداف والمقاصد فلذلك مجاله في كتب الفقه والثقافة الإسلامية ، ولكن سنعرض لبعض مجالات صناعة القدوة في ذلك .

ميادين القدوة في مجال الإصلاح الأسري بالتربية بالقرآن :

---

[٣٩] سبق تخريجه.

١- التربية الذاتية للوالدين :

الأبوان في البيت هم الأقرب للأطفال والأبناء والتقليد والمحاكات من صفات الإنسان ويكون ذلك بشكل كبير في سن الطفولة ولذلك كان دور الوالدين في القدوة عظيماً .

وصلاح الأبناء هاجس كبير عند الوالدين ، ولذا كان له نصيب من دعاء الآباء الصالحين قال تعالى في صفات عباد الرحمن : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الفرقان: ٧٤[٤٠]

وقد سئل الحسن عن هذه الآية : ما هذه القرة الأعين أفي الدنيا أم الآخرة ؟ قال : لا بل في الدنيا ، قال: وما ذلك ؟ قال: المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله"[٤١]

لا والله ما شيء أحب إلى المرء المسلم من أن يرى ولداً أو والداً أو حبيباً أو أخاً مطيعاً لله عز وجل . ومما يعزز مفهوم القدوة بين الوالدين والأبناء في هذه الآية ختامها بقوله: {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} فهذا دعاء آخر مرتبط بما قبله فهداية الذرية والأزواج تابع لهدايتهم لأن الرجل في بيته إماماً لهم وقدوة وهم أقرب الناس إليه .

وللقدوة بين الوالدين والأبناء مجالات منها :

أ- العبادة : ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»[٤٢] . فالابن على دين أبيه غالبا ، ثم هو كذلك في درجة التدين ، فمن أراد صلاح أبنائه فإن من أسباب ذلك إصلاح النفس ليكون قدوة . وقد ورد في القرآن ضرورة تعاهد الأسرة في ذلك فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ

---

[٤٠] قرة أعين : كناية عن السرور والفرح وهو مأخوذ إما من :١) القر وهو البرد لأن دمع السرور بارد ودمع الحزن ساخن يقال : أقر الله عينيك و أسخن الله عين العدو ، ٢) أو مأخوذ من القرار : أي يقر النظر به ولا ينظر إلى غيره . قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٥/ ٧): ((قر) القاف والراء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على برد، والآخر على تمكن.

[٤١] الأثر أخرجه تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٩/ ٣١٨).

[٤٢] صحيح البخاري (٢/ ٩٥)

﴿ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦ فبدأ بالنفس ثم ثنى بالأهل .

ومن ثم أثمر الوالدان القدوة خير الأجيال ، هذا إبراهيم بن وكيع ، يقول : كان أبي يصلي فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلى[٤٣] . ومثل هذا يكون في تعاهد القرآن . وغيرها من أمور الدين .

ب- الأخلاق : أشرنا في محور سابق إلى القدوة في مجال الأخلاق ، وخير من يمكن أن يكون مؤثرا في مجال الأخلاق هم الوالدان ، ولذلك رتب عليه الإثم فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟» قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»[٤٤] .

وكافة الفضائل الخلقية لا يمكن أن يأمر الوالدان طفلهما فيطيعهما وهم يفعلان خلافه.

ت- الإيجابية في الحياة : من المجالات التربوية التي يطمح الوالدان لوجودها في أبنائهم النجاح في الحياة بالتعلم والإنتاجية .

رابعا : مجال الإصلاح في مجال المال والاقتصاد بالتربية بالقرآن :

المال مقوم أساسي في حياة البشر فدوره عظيم في تحقيق مقصد الشريعة في عمارة الأرض ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ الحديد: ٧ وبالرغم من وجود طغيان للمال على النفس الإنسانية إلا أن الشرع يأمره بالزهد المطلق فيه ، فصارت نظرة الدين الإسلامي للمال من معالم الوسطية فهو مختلف عن اليهودية التي تتسم بالفكر المادي وفي وصفهم قال تعالى : ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ ﴿١٦١﴾ ﴾ النساء: ١٦١

[٤٣] تاريخ بغداد ت بشار (١٥/ ٦٤٧)

[٤٤] سنن أبي داود (٤/ ٢٩٨) وحسنه الألباني.

وتختلف أيضا عن النصرانية التي تغلب الرهبنة ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ الحديد: ٢٧.

حيث نجده يلبي الحاجات الفطرية المتعلقة بحب المال فقد وصف الله الإنسان بقوله : ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ الفجر: ٢٠ كما يرشده كيف يحقق مقصد عمارة الأرض،

وقد وضع الإسلام منهجه في المال على أُسس منها:

أولاً: ملكية المال لله : قال تعالى ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ النور: ٣٣

ثانياً: الإنسان مستخلف في المال فقط ، قال تعالى ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ ﴿٧﴾ ﴾ الحديد: ٧

ثالثاً: مالك المال حرٌّ في تنمية ماله ، وهذه الحرية مشروطة بعدم الإضرار بالجماعة الإنسانية والجماعة لها حق معلوم في هذا المال أقل هذا الحق ألا تضرَّ الجماعة بهذا المال.

رابعاً: المال وسيلة لا غاية ، وهو ممدوح في القرآن إذا كان طاهر المصدر. طيب الإنفاق.[٤٥]

وقد يعيش الإنسان صراع بين محبوباته الجبلية وبين مراد الشرع في المال ، وخير من يعين في ذلك وجود القدوات التي تعي مراد الشرع وتطبقه بصورة قابلة للاقتداء ، إذ قد يظن الكثير أن التوازن مثالية أو كبت للمحبوب الجبلي وحين تكون في المجتمع شخصيات تملك المال وتتمثل التوازن الشرعي فإن هذا من عوامل الإصلاح في المجتمع ، ومن أمثلة الإصلاح المالي:

- الشخصيات التي قد رزقت رغد من العيش وسعة في الرزق هي في ابتلاء بالسراء ومن عوامل صمودها امام سطوة المال وجود القدوات في ذلك وهذه القدوات تصنع بالقرآن، ومن مواضع

[٤٥] المال في القرآن الكريم (ص: ٥)

التربية في ذلك امتثالا في الصورة الحسنة أو حذرا من الصورة السيئة ومن أمثلة ذلك قصة صاحب الجنتين وصاحبه في سورة الكهف ، وفي التحذير قصة أصحاب الجنة في سورة القلم .

- الشخصيات ذات المناصب القيادية وتحت يديها ميزانيات المؤسسة المالية مدعاة للفساد المالي مع وجود المال والنفوذ عليه فإذا كان عليه أمين فإنه يثبت لأفراد المجتمع أن ذلك ممكنا وهذه القدوات يمكن صناعتها بالقرآن وخير معين لهذه القدوة يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يوسف: ٥٤ - ٥٧ وذلك بعد تأويل الرؤيا التي تحمل معالم لنظريات الإدارة الاقتصادية .

- الشخصيات التي يكون لها تمكين ونفوذ يمكن أن يكون نفوذها للبطش والتجبر ، ويمكن أن تكون لخدمة مصالحها ، ولكن المنهج الصحيح : العدل بين الناس ، وتتبع حاجات الرعية والقدوة هنا يمكن أن تصنع بالقرآن ، ويمكن استلهام هذه المعالم من قصة ذي القرنين فإنه سار في الأرض مطبقا لشرع الله ، ومتتبعا لحاجات الشعوب بإخبات لله ، وفي قصة بناء السد قدوة فصلت معالمها في تسخير الإمكانات والأسباب للرعية.

خامسا : مجال الإصلاح في مجال القيادة والإدارة بالتربية بالقرآن :

القيادة والإدارة علم بل فن يحتاجه كل مجتمع يريد النهوض والتمكين في الأرض في كافة مؤسساته ، والعناية بالإدارة من سمات المجتمعات المتحضرة .

وترتبط الإدارة بالشريعة الاسلامية ارتباطاً وثيقاً، وقد أشار التنزيل الحكيم بلفظ الإدارة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ البقرة: ٢٨٢

ويمكن تعريف الإدارة :بأنها مجمل العمليات المرتبطة بالتخطيط والتنظيم والقيادة والرقابة والتي تهدف إلى تحقيق أهداف حددت مسبقا . [٤٦]

[٤٦] مبادئ الإدارة والأعمال –صالح العامري –طاهر الغالبي –مكتبتنا العربية الطبعة الثانية –٢٠٠٨

والمتأمل لوظائف الإدارة المذكورة في التعريف وهي: التخطيط والتنظيم والقيادة والرقابة يجد أن المدير يمكن أن يتربى بالقرآن لتحقيق أعلى كفاءة فيها ، كما أن المتأمل في مجال القدوات يجد أن القرآن في هذا المجال حافل بنماذج بشرية ممدوحة للاقتداء والاتباع ، ومذمومة للحذر من مسلكها بحيث يمكن الإصلاح الإداري في المجتمع بالتربية بقيم القرآن .

ولنأخذ مثالا على ذلك في مفهوم التخطيط في الإدارة .فالتخطيط واتخاذ الأسباب : من مبادئ الإدارة ومرتكزات النجاح الإداري فالعمل الارتجالي لا يُؤتي أُكُلَه كما لو كان معداً إعداداً جيداً ومدروساً دراسة وافية ، معروفة أبعادُه وجدواه ومراحلُه .وكل عمل أو فكرة تخطر على البال لا بد أن تُخطط له تخطيطاً جيداً تراعي فيه الهدف منه وبدايتَه وإتمامَه وإيجابياتِه وسلبياتِه ، وإلا كان عملاً عشوائياً قد ينجح وقد يفشل . واحتمالات فشله أكبر ، وإن نجح فنجاحه مرحليّ أو غير مكتمل .

ومن أمثلة ما ورد في القرآن في مجال التخطيط سورة يوسف [٤٧]، حيث تضع السورة بين أيدينا نماذج من التخطيط الذي يؤدي إلى الوصول إلى الهدف المنشود ، سواء كانت الغاية المراد الوصول إليها ممدوحة أو مذمومة .

فالجانب الإيجابي من التخطيط في هذه السورة نجده في :

- تخطيط يوسف عليه السلام للخروج من السجن .
- تخطيط يوسف عليه السلام لمجيء أخيه إليه.
- التخطيط الاستراتيجي الاقتصادي الظاهر من خلال تعبير الرِؤيا .

ومن التخطيط السلبي المذموم في السورة والذي يمكن التحذير من مسالكه:

- تخطيط إخوة يوسف للتخلص منه.
- تخطيط امرأة العزيز في قصة المراودة .
- –تخطيط امرأة العزيز للنسوة .

وسنذكر شيئا من التفصيل لتخطيط يوسف عليه السلام لمجيء أخيه إليه:

---

[٤٧] انظر : الإدارة في سورة يوسف –نايف قرموط رسالة ماجستير ص٧٥-٩٥

١- جاء إخوة يوسف للميرة لا يدرون أن الله ساقهم إلى من ألقوه في الجب ، ثم باعوه بثمن بخس لمن رآه فيه – على رواية من روى أنهم هم الذين باعوه للقافلة – ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ يوسف: ٥٨ وهل يخطر ببالهم أن الذي بيع هو السيد الذي يعطي الناس ويعدل بينهم ؟!

٢- لما أراد أن يرى أخاه الشقيق – ولم يكن معهم – أظهر تعجبه من كثرتهم ، وهم عشرة رجال . فقالوا : عند أبيهم رجل آخر ، فقال عند ذلك : جيئوا به لأراه ، فإن لم يجئ فلا كيل لكم عندي .﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾ يوسف: ٥٩ - ٦٠ وعلى هذا فإنهم - حسب ماظنوا – سيأتون العام القابل ومعهم أخوهم . وسيطلبون من أبيهم أن يصاحبهم أخوهم . وإلا خسروا الميرة ما دام هذا الوزير على رأس عمله . ﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ يوسف: ٦١.

٣- لكن يوسف لن يصبر على غياب أخيه ، وسيسرّع عودتهم فماذا فعل ؟ أمر فتيانه أن يضعوا ثمن ما أخذوه في رحالهم ، وحين يصلون ويفتحون متاعهم سيرون الثمن . ولأنهم من بيت النبوّة فلن يعتبروه غنيمة بل يعيدوه إلى يوسف سريعاً ، ولن يكون سفرهم لإعادة الثمن فقط إنما يغتنمون الفرصة ويعودون بميرة جديدة ، ولكنه لن يُمدهم بها إلا إذا كان أخوه معهم .. إذن هي خطة محكمة تجعل يوسف عليه السلام يحظى بأخيه سريعاً ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ يوسف: ٦٢

٤- وهكذا سارت الخطة فنرى أبناء يعقوب يقولون لأبيهم :﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يوسف: ٦٣.

٥- وزاد الطلب إصراراً حين فتحوا متاعهم ورأوا الثمن فيها فقالوا يرغّبون أباهم : ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ ﴾ يوسف: ٦٥

٦- ويطلب الأب المفجوع بابنه يوسف - والخائف على ابنه الثاني أن يضيع مثل أخيه - العهودَ والمواثيق أن لا يعودوا إلا غانمين بإذن الله تعالى إلا أن يُحاط بهم ، وهذا الاستثناء استسلام لله تعالى وإقرار بأنه سبحانه يفعل ما يشاء ، وأن الغيب لا يعلمه سواه وأن يحافظوا على أخيهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

٧- وأن لا يدخلوا من باب واحد خوفاً من الحاسدين ... ويعطونه المواثيق والعهود وينطلقون ببركة الله إلى مصر عاقدين العزم أن يكونوا عند حسن ظن أبيهم بهم . ونبه يعقوب عليه السلام أبناءه إلى أن الأمر كله بيد الله تعالى إلا أن على الإنسان أن يحتاط ويسلك سبيل الحذر ، وما قدر الله تعالى كائن لا محالة .

٨- وأخبر يوسف أخاه أنه يوسف وأخبره بالخطة التي اعتزم أن ينفذها ليبقى عنده — ليطمئن ويكون عوناً له - ثم يأتي بالجميع إلى مصر فتتحقق رؤياه التي أخبر بها أباه ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ يوسف: ٦٩

٩- ولا بد من سبب وجيه يبقي أخاه عنده ، فليظهر أنه سرق المكيال ، ومن سرق المكيال يصبح عبداً للمسروق منه ، وهكذا كان﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ﴾ يوسف: ٧٠

١٠- ثم ننظر إلى الأدب في الاتهام فقد انطلقت القافلة لا يدري أحد ما يكون بعد انطلاقهم سوى يوسف وأخيه. إنّ هناك من يناديهم بما ليس فيهم ﴿ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ يوسف: ٧٠

١١- عادوا مستغربين هذا الاتهام الخطير مستفهمين بأدب جم " ماذا تفقدون ؟ " ولم يقولوا : ماذا سرقنا . وعلى المنادي أن يقول إنا افتقدنا ، فإذا وجدوا ما فقدوه في رحالهم قالوا لهم : أنتم سارقون . أما أن يتهموهم مباشرة فليس الاتهام دون دليل من الأخلاق . وقال المنادون " نفقد صواع الملك " فتعلموا الأدب من أبناء يعقوب .

١٢- وزيادة في التعمية أظهروا أنهم لا يعرفون كيف فقدوه ، وجعلوا لمن يدلهم على السارق حمل بعير – هدية ومكافأة – " ولمن جاء به حمل بعير "

١٣- فلما أنكر إخوة يوسف هذه التهمة لم يكن بد من تفتيش متاعهم . على أن يرضوا بمعاقبة السارق إن كان منهم بما تحكم شريعة يعقوب حيث يصبح السارق رقيقاً للمسروق منه ﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يوسف: ٧٥ وعلى المسلم أن يحكم بشرع الله الذي أنزل إليه . فأقر أبناء يعقوب بذلك .

١٤- ولكي لا يشك إخوته في العملية بدأ بتفتيش متاع إخوته ، وترك تفتيش بنيامين للأخير ﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ يوسف: ٧٦

١٥- وحين استخرج الصواع من وعاء أخيه بدا له أن إخوته مازالوا يكرهونه وأخاه حين اتهموا يوسف ظلماً وهو أمامهم لا يعرفونه بأنه سارق أيضاً ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴿٧٧﴾ ﴾ يوسف: ٧٧ فكان من حسن تخطيطه وجمال صبره أن تماسك فلم يعرّفهم بنفسه ، ولم يعاقبهم على كذبهم وادّعائهم . بل قال جملة تنم عن شديد حزنه وألمه ﴿ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ يوسف: ٧٧

وبهذا التخطيط المحكم أدى – بعد ذلك – إلى اعتراف الإخوة بخطئهم أمام يوسف ثم أمام أبيه ، وانطلق الجميع إلى مصر ليعيشوا في كنف الوزير الصالح يوسف بن يعقوب عليهما السلام . [٤٨]

الخاتمة :

---

[٤٨] انظر: دراسة تربوية لسورة يوسف عليه السلام – الدكتور عثمان قدري مكانسي

وفيها أهم النتائج

تبين من البحث مايلي:

- القدوة مدخل من مداخل التأثير على النفس البشرية .
- عناية القرآن بالقدوة سواء على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق.
- ومن عناية القرآن بالقدوة على مستوى التنظير:

١- تنوع الأساليب والمصطلحات القرآنية الدالة على القدوة .

٢- تبيين القرآن لمرتكزات القدوة والتي منها الارتباط بالعمل بالكتب المنزلة (القرآن أو التوراة والإنجيل لأهل الكتاب) .

- القصص القرآني مصدر لاستمداد معالم القدوة تطبيقيا ، ونحتاج لتعلم مهارة استنباط جوانب القدوة من القصص .
- في تنوع القصص القرآني تنوع لمجالات القدوة حسب تعلق القصة بالجانب الإصلاحي المجتمعي . وكلما عظم الاهتمام بأمر تعددت صور القدوة فيه .

المراجع:

١. الإدارة في سورة يوسف –نايف قرموط رسالة ماجستير منشورة على الانترنت

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم–أبو السعود ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣. التحرير والتنوير ،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٤. تفسير الشعراوي – الخواطر – محمد متولي الشعراوي –الناشر: مطابع أخبار اليوم نشر عام ١٩٩٧ م

٥. تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

٧. تهذيب اللغة ، الأزهري -المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي ،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

٩. جامع البيان في تأويل القرآن ،أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ،تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١١. الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الناشر: دار القلم- دمشق- الطبعة: الأولى المستكملة لعناصر خطة الكتاب ١٤١٨هـ-١٩٩٨م

١٢. دراسة تربوية لسورة يوسف عليه السلام - الدكتور عثمان قدري مكانسي منشور على الانترنت موقع صيد الفوائد.

١٣. الرسل والرسالات -المؤلف: عمر الأشقر -الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت-الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

١٤. سنن الترمذي - محمد بن عيسى ، الترمذي، أبو عيسى -الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٥. السيرة النبوية لابن هشام -عبد الملك بن هشام -تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي-الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر-الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

١٦. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٧. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري – بدر الدين العينى –الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٩. العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي .الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل–أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت–الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٢١. القدوة الحسنة في القرآن الكريم ، ناصر الماجد بحث منشور في مجلة الدراسات القرآنية – جمعية تبيان – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .العدد الثامن١٤٣٢هـ ،٢٠١١م.

٢٢. القدوة وبناء الأجيال الصالحة– مقال للدكتور / وحيد حامد عبد الرشيد –منشور على موقع: ttp://www.gulfkids.com/vb/showthread.php?t=3570

٢٣. المالُ في القُرْآنِ – المؤلف: محمود محمد غريب، – وافقت وزارة الإعلام العراقي على نشره: ٢١٨ / ١٩٧٦– الطبعة: الأولى ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م – بغداد.

٢٤. مبادئ الإدارة والأعمال –صالح العامري –طاهر الغالبي –مكتبتنا العربية الطبعة الثانية –٢٠٠٨

٢٥. معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس –المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٦. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير– أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي –الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٢٧. المفردات في غريب القرآن ،الراغب الأصفهانى المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

٢٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.